

النص الارسطي بين التشذر والوحدة النسقية

د. عبدالرحمن بوقاف

قسم الفلسفة ، جامعة الجزائر

١ - العرض النظري

لا يختلف اثنان في الحضور الذي يمثله الفكر اليوناني في المشهد الفكري بكل تجلياته . وعندما نتأمل هذا الفكر فأول ما تتجه اليه الذاكرة رجالته الذين يتصدرهم أرسطو (٢٨٤ - ٣٢٢ ق.م) لا أعتقد أن مفكرا آخر استطاع ان يبسط هيمنته علي الثقافة البشرية مثل هذا الفيلسوف ، وقد يعود ذلك إلي اتساع الفضاء الذي اكتسحه فكره .

لا يمكنني هنا أن أحلل مبررات هذه السلطة التي دامت قرونا ، وإن كان حضورها بالزخم الذي تذكره كتب التاريخ يدعو إلي الفضول المعرفي . ولكن تغفل هذه الفلسفة في مناحي الروح المختلفة جعل مصطلح الفلسفة في العصور الوسطى مثالا يعني فلسفة أرسطو ، ومن ثم كانت مسألة التوفيق بين مطالب العقل ومطالب الوحي تعني التوفيق بين النص الأرسطي والنص الديني . وهنا أود أن أورد مثالا يعبر عن مدى تمكن سلطة هذا النص ، فقد كُتب قديما على أحد تماثيل جامعة أكسفورد ما يلي :

إن طلبة الليسانس والدراسات العليا الذين لا يتبعون أرسطو باخلاص يتعرضون لدفع غرامة قدرها خمسة شيلنجات عن كل نقطة يخالفونه فيها ، وعن كل خطأ يرتكبونه ضد منطق الأورغانون ^(١) .

(1) Quoted in R.F. Yones, *Ancients and Moderns, A study of the Scientific Movements in Seventeenth Century England* . 2nd ed. (C.A. University of California Pien, 1961). p. 4

ويذكر المرجع المشار إليه أن دارسا طرد من الجامعة لأنه تجرأ على مخالفة أرسطو . أن تكون الفلسفة فيما ينضى قد عنت فلسفة أرسطو فهذا ليس شأننا فلسفيا بل حكما مسبقا اقتضته الحاجة اللاهوتية إلى ذلك . قد يعود هذا الحكم إلى أن فلسفة أرسطو تمثل النموذج الأسمى الذى بلغته الفلسفة آنذاك، ألم يطلق عليه العرب لقب «المعلم الأول» ؟ وموازاة مع هذه النظرة «كانت الأرسطية (Aristotalianism) بالنسبة إلى العرب والمسيحية على السواء خطاطه (Scheme) من الأفكار صارمة وثابتة ونسقا محكما»^(١) يتسم بالانسجام والاتساق ، وينطبق هذا خاصة على منطقته الذى ظن أنه كامل^(٢) . وحتى إذا بدا هناك تعارض بين تعاليم أرسطو كما تذكرها نصوصه فإن الموقف العام هو افتراض أن أحد النصوص فاسد^(٣) لا يمثل وجهة نظر الفيلسوف الحقيقية، ومن ثم يجب تقريبه إلى الخط العام لنظامه حفاظا على تناسق النص وانسجامه .

إذا نظرنا بروح نقدية إلى النص الأرسطى كما يؤطره هذا الافتراض وجدنا لانفسنا مبررا لوضعه موضع تساؤل : هل يوجد فى النص الارسطى ما يسوغ وجود هذه النسقية المحكمة؟ هل النصوص التى تنسب عادة إلى أرسطو والتى

(1) W.K.C. Guthrie, *A History of Greek Philosophy*, V. VI : *Aristotle : An Encounter* (Combridge: Cambridge University Press, 1981, repr., 1998), p. 1.

(٢) ذلك ما يصرح به كانط عندما يذكر «أن هذا المنطق (الصوري الارسطى) لم يستطع حتى الآن أن يتقدم خطوة واحدة ، وبذلك يمثل للعيان مذهباً تاماً ومغلقة» أنظر :

Critique of Pure Reason, Bviii.

وفى هذا ايضا يكتب C. Lejewski «أن سلطة أرسطو فيما يتعلق بالمنطق ، قبل ظهور المنطق الرمضى ، لم يتحداها أحد وأن منطقته اعتبر نسقا شاملا غير قابل للتمديد» أنظر مقالته فى :

The Encyclopedia of Philosophy, V.IV, ed. P. Edwards (N.Y. & London: Macmillan, Inc., 1967).. p. 517.

(3) G.E.R. Lloyd, *Aristotle: The Growth and Structure of his Thought* (Cambridge: The University Press, 1968), p. 19.

تجسد فكرة فى مجالات فلسفية مختلفة تمثل نسقا بالمعنى الذى ساد تاريخ الفلسفة؟

- ٢ -

الاجابة التى أقدمها هنا تكون بالنفى ، وليست هذه محاولة جديدة كل الجدة بل قراءة تستند إلى معطيات النص نفسه وإلى بعض الباحثين فى فلسفة أرسطو . ولكن قبل الخوض فى تفاصيل هذا الزعم رأيت ، لضرورة منهجية ، أن أوضح ما المقصود بـ «النسق» حتى يكون القارئ على بينة من المسألة . إن مصطلح «النسق» هو المقابل العربى للمصطلح الأجنبى systema وهو يونانى الاصل system ويعنى عموما مجموعة من الأشياء مرتبطة فيما بينها مشكلة وحدة أو كلا عضويا . بهذا التعريف الاشتقاقى يكون حضور النسق لا يقتصر على الفلسفة ، بل يوجد فى ميادين أخرى مثل علم الفلك Solar system أو علم الاحياء nervous system .

هذه السمة العامة تحتفظ بها فكرة النسق فى الفلسفة، تلك الفكرة التى كانت فى بعض اللحظات من تطور الفلسفة المطلب الضرورى لكل بناء فلسفى . لقد كان الفلاسفة ، المؤيدون للنسق منهم والمعارضون له ، واعين بهذه الظاهرة فى إحدى تموجاتها التاريخية . ولا أريد هنا أن ألاحق هذا الوعى تاريخيا ، بل أكتفى بالوقوف عند بعض المحطات لآنتهى ، استنادا إلى ذلك ، بطرح السمات التى أراها ضرورية للنسق كما تجلى فى ممارساته .

من الفلاسفة الذين حاولوا جادين توجيه الفلسفة توجيهها نسقيا الفيلسوف ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠) الذين يعرف الفلسفة بأنها «المعرفة الكاملة بالاشياء التى فى مقدور الانسان معرفتها»^(١) . ولبلوغ هذه المعرفة لابد من البحث عن

(1) Descarte, "Principles of Philosophy" in *The Philosophical Writings of Descartes*, V.1, tr. y. Collinghoam, R. Stoothoff and D. Murdoch (Cambridge: Cambridge University Press. 1985). p. 179.

الاسباب أو المبادئ الأولى التي تعتمد عليها بقية الاشياء إعتقاد النتائج على المقدمات . هذا يعنى أن هذه المبادئ توظف بصفتها نقطة انطلاق فى استنباط الحقائق الأخرى . يمكن فى هذا السياق فهم تشبيه ديكارت الفلسفة بالشجرة التي تمثل جذورها الميتافيزيقا التي توفر المبادئ الأولى (تذكر هنا عنوان كتابه الاساسى تأملات فى الفلسفة الأولى) . ويمثل جذعها علم الطبيعة، أما الفروع فتمثل العلوم الأخرى ، التي يمكن ردها إلى ثلاثة علوم رئيسية هي علم الميكانيكا والطب والأخلاق^(١) . استعمال رمزية الشجرة يشير إلى العلاقة العضوية التي يجب توفرها بين أجزاء المعرفة الفلسفية فى نظام واحد، ومن الناحية المنطقية تكون العلاقة التي تربط بين هذه الاجزاء ذات طبيعة استنباطية . ولا غرابة فى ذلك ما دام النموذج الذي يحتذى به ديكارت هو الرياضيات .

لقد سيطرت هذه الفكرة على العقلانيين فى القرن السابع عشر ، ولم تكن موضوعا للنقاش بل ولم يحاول أحد تحديد مفهوم النسق . لقد ذكرنا تعريف ديكارت وشرحه الذي لم يميز فيه بين الفلسفة والصورة (النسق) التي يشترطها لها . ولكن عندما نأتى إلى القرن الثامن عشر الذي يسميه كانط بحق «عصر النقد» نجد بعض الفلاسفة يثرون على «الروح النسقية» (l'esprit de system) هذا المصطلح الذي شاع استعماله . والذي كان يقصد به اساسا عقلانية ديكارت .

مادام التنويريون قد ثاروا على الروح النسقية فما الذى يفهمونه بهذا المصطلح ؟ لقد أراد كوندياك (Condillac) (١٧١٤ - ١٧٨٠) فى كتابه مقالة فى الانساق (Traité des systèmes, 1749) أن يوضح معنى هذا المصطلح بقوله :

«النسق ليس الا ترتيبا لاجزاء المختلفة لفن من الفنون أو علم من العلوم فى نظام حيث تعتمد (الاجزاء) على بعضها البعض ، وحيث تكون الاجزاء الأولى

(1) Ibid., p. 186.

شارحه للتالية . وتسمى الأجزاء التي تبرر الأخرى المبادئ . ويكون النسق أكثر كمالا كلما كانت مبادئه أقل عددا ، بل إن المبتغى فى ذلك هو أن ترد هذه المبادئ الى مبدأ واحد»^(١).

نحن نعلم أن فيخته Fichte (١٧٦٢ - ١٨١٤) فيما بعد سيشترط مبدأ واحدا فى النسق لتصل الفلسفة بالفعل إلى مرتبة العلم ، ومن ثم ألف كتابه (نظرية العلم) (١٧٩٤) Wissenschaftslehre .

الإشارة إلى فيخته تعني ان الروح النسقية عاشت لحظتها الزاهرة فى ألمانيا حيث الفلاسفة ربطوا مفهوم النسق بالعلم . هذا ما نجده عند كانط الذي لم يستطع ، فى نظر فيخته وهيجل ، تحقيق هذه النسقية لفلسفته . ومع ذلك يرى كانط ضرورة التوجه النسقي للفلسفة ، . ذلك ما يذكره قبيل نهاية نقد العقل الخالص حيث تطرق إلى معمارية العقل الخالص التي ترتقي بها الفلسفة الى مستوى النسق .

أفهم بالمعمارية archetectonic فن بناء الانساق ، إن الوحدة النسقية هي التي ترتقي بالمعرفة العادية إلى رتبة العلم ، أي تؤلف نسقا من مجرد تجمع-aggregate للمعارف ... وأفهم بالنسق وحدة مختلف المعارف تحت فكرة واحدة . هذه الفكرة هى التصور الذي يوفره العقل - والذي هو صورة الكل - طالما أن التصور يحدد قبليا ليس محتوى المعرفة المتنوع فقط ، بل كذلك المواقع التي تتخذها الاجزاء بالنسبة الى بعضها البعض^(٢).

وطالما أن هذه المعمارية تقتضى تأليف أجزاء المعرفة بهذا التمسك فلا بد أن تكون هناك غاية تخدمها ، وهى التي تجعل الأجزاء تنتظم بطريقة معينة، على أن

(1) Kant, *Critique of Pure Reason* Trans. N.K. Smith (N.Y. St. Martin Press, 1965), A832/B860.

(2) R. Lefèvre, *Condillae ou la Joie de Vivre*, présentation, choix de textes, bibliographie (Paris. Editions SEGUERS, 1966), pp. 128-29.

يكون هذا التنظيم ليس اعتباطيا بل ضروريا ، بحيث لا يمكن اضافة عناصر أو اجزاء من الخارج . يعني هذا أيضا ان نمو النسق يكون داخليا، وهو فى هذا يشبه الكائن الحي الذي ينمو بنمو أعضائه وليس باضافة أعضاء جديدة ^(١).

أن يكون كانط قد حقق هذا المطلب النسقى فى فلسفته أم لا فذلك لا يهمنا، ولكن المهم هو شعوره بالحاجة إلى هذه الصورة التى يشترطها فى الفلسفة والتى يربطها بالعلمية .

سأنهى هذه السفرة التاريخية القصيرة بالتوقف عند هيجل الذى سخر طاقته الفكرية لتشييد بنائه الفكرى فى صورة نسق . وهو فى هذا التوجه يتفق مع كانط وفيخته على اشتراط النسقية للفلسفة حتى تكون علما : «إن التفلسف من دون نسق لا يمكن أن يكون علما على الاطلاق» ^(٢)، وهو يقدم لذلك سببين:

أ - إن موضوع الفلسفة ، الفكرة أو المطلق ما هو الا تطور الفكر نفسه كما تجلى فى تاريخ الفلسفة . وما دام هذا المحتوى ينمو حسب حركته الداخلية فهو يمثل وحدة ، ولذلك فالعلم بهذه الفكرة لابد أن يكون نسقا .

ب - يذكر هيجل فى محاضراته فى تاريخ الفلسفة وفى منطق الموسوعة أن الفلسفات التى ظهرت ليست فى الحقيقة فلسفات مختلفة لأن هذا التاريخ «يبين أن هناك فلسفة واحدة فقط تتشكل فى مراحل مختلفة .. وأن المبادئ الجزئية التى أسس عليها كل نسق نفسه ما هي الا فروع لكل واحد» ^(٣) وبناء على هذا الاستدلال تكون الفلسفة الأخيرة فى الظهور، فلسفة هيجل طبعا ، الحاوية لكل المبادئ السابقة .

ويذكر هيجل فى هذا الكتاب وفى محاضراته أن المهم فى تاريخ الفلسفة من وجهة نظر الحاضر (عصر هيجل) هو المحتوى الموضوعى للفكرة وليس الآراء

(1) Ibid., A833/B861.

(2) Hegel, *The Encyclopedia Logic*, Tr. T.F. Greates, W.A Suchting and H.S. Harris (Indiana, USA: Hackett Publishing Company, 1991), Para 14.

(3) Ibid., Para 13.

الشخصية للفلاسفة . وهو عندما يعرض نسقه يحاول أن يبين أن الحركية التي تنمى الفكر لا تخضع لتوجيه خارجي بل لضرورة داخلية .

عطفا على ماسبق يمكننا أن نفهم أن صناعة الأنساق تفترض، وقد تكون مخطئة فى ذلك ، أن التفكير خارج النسق لا ينتج الا شتاتا من المعارف بلا رابط يوحدھا ويفضى عليها معنى . من هنا نفهم المبرر لدى بناء الانساق .

- ٣ -

بعد هذا العرض المقتضب تتبين لنا الفكرة عن طبيعة النسق كما فهمه بعض الفلاسفة ، ولكن ما رأيناه لا يسد الحاجة لأن ما قاله هؤلاء لا يعد كافيا، لذلك رأيت أن أقترح وضعاً للنسق كما فهمت تجلياته التاريخية .

١ - الجهاز المفاهيمي :

وأعنى بذلك مجموع المفاهيم الاساسية التي يوظفها صاحب النسق ليعبر بها عن مجمل الطروحات والآراء المتعلقة بالمسائل التي يرى إدراجها ضروريا فى النسق . وأهم شئ فى هذا هو المفاهيم التي ينحتها لنفسه ، أى التي لم يسبقه إليها أحد ، أو التي كانت متداولة ولكنه يضمنها معانى خاصة به . بهذا تكون وظيفة المفاهيم مزدوجة ، فهي بنائية لأنها اللبئات التي يستعملها الفيلسوف فى بناء النسق والتي تجعله يتميز عن غيره . وهي ثانيا نقدية طالما أن الفيلسوف يتخذها مبررات لتجاوز فلسفة أخرى . وقد يذكر الفيلسوف ذلك صراحة كما هو الحال عند سبينوزا (١٦٣٢ - ١٦٧٧) الذي ينتقد سابقيه فى استعمالهم الغامض لمصطلح الجوهر، وهي ممارسة عرفها تاريخ الفلسفة . من هنا يبدو أن الوظيفة النقدية تبرر والوظيفة البنائية تقدم البديل . هذه الخاصية تنبئ عن أصالة الفيلسوف وتميزه وتفردہ .

وليست المفاهيم فى مستوى واحد ، لا من حيث دورها ولا من حيث الفضاء الذى يسمح له به فى النسق . فمثلا مقولات الجهة عند كانط لا تملك نفس الفضاء الذى تملكه مقولات السببية رغم أنها جميعا مقولات . من هنا تكون بعض المفاهيم أكثر اساسية من غيرها .

٢ - المباديء :

لكي تؤدي المفاهيم دورها لابد من توجيهها هذه الوجهة أو تلك ، والذي يقوم بذلك هو مبدأ أو مجموعة من المبادئ يذكرها الفيلسوف صراحة أو يسكت عنها . فلو أخذنا مثلاً نسق لايبنتز Leibniz (١٦٤٦ - ١٧١٦) لوجدناه يحتوى على جملة من المبادئ تسير النسق ، من هذه مبدأ السبب لكافى ، مبدأ الكمال . وإذا عدنا إلى ديكارت نجده يصرح بأنه يتخذ الكوجيتو المبدأ الأول لبناء فلسفته ، وهو ينتمى إلى جذور الشجرة (الميتافيزيقا) التى تبحث عنها الفلسفة الأولى Philosophia prima . إذا كانت المبادئ تقوم بهذا الدور الموجه فهذا يعني أن كل نسق تحكمه غاية معينة يريد بلوغها .

٣ - الشمولية أو Totality Comprehensiveness :

كثير ما تذكر المراجع التاريخية أن الفلسفة تدور حول محاور أو قيم ثلاث هى الحق والخير والجمال . يمكن أن يدرج تحت المحور الأول مبحث الميتافيزيقا أو المعرفة عموماً ، وتحت الثانى الاخلاق والسياسة وتحت الثالث مبحث الجمال . لماذا يفعل النسق ذلك (الشمولية)؟ كل نسق يطرح نفسه بديلاً عن غيره، ولكي يقوم بذلك يرى لزماً عليه أن يكتسح الفضاءات البحثية التي يمارس فيها فعل التفلسف تقليدياً نشاطه . وتحقيق الشمولية يتوقف على مدى قدرة الفيلسوف على ايجاد الروابط بين هذه الفضاءات ، خاصة إذا كان التصور التقليدي للفلسفة لا يقر مثلاً بأن تنفصل نظرية المعرفة عن نظرية الوجود . اتصاف النسق بهذه الصفة هي التي جعلت هيجل يؤاخذ غيره بها .

لقد أساء استعمال مفهوم النسق فى الآونة الأخيرة، وذلك بتضمينه معنى الالتزام بمبدأ واحد وأحادى . لكن المعنى الحقيقي لـ «النسق» هو الشمولية، وبهذا فقط يكون النسق حقيقياً^(١)، وهذه

(١) المقصود بهذا فيخته

الشمولية تبدأ مما هو أكثر بساطة لتصير بنموها أكثر عينية^(١).

وإذا استطاع النسق أن يحقق هذه الشمولية أكثر من غيره فإنه يكون بذلك قد تجاوز غيره من الفلسفات . ومن بين ما يتمثل فيه ذلك هو قدرته التفسيرية التي تمكنه من تجاوز العجز الذي يمكن أن تعانيه الفلسفات السائدة . وقد يشعر النسق بهذا التفوق حتي يتهيا له أنه أجاب بالفعل عن كل سؤال مطروح. أنظر مثلاً ما يصرح به كانت :

لقد وضعت في هذا البحث (نقد العقل الخالص) التمام هدفي الاساسي، ولذلك اجرو على التصريح بأنه لا توجد مشكلة ميتافيزيقية واحدة لم تحل أو على الأقل لم يوفر المفتاح لحلها^(٢).

٤ - الاتساق Consistency :

اشتراط الاتساق يلزم عن المعنى اللغوي لمفهوم النسق ، أما تطبيقه على الفلسفة النسقية فيعني انسجام الاجراء فيما بينها لتؤلف بذلك وحدة متماسكة. والذي يضمن هذه الوحدة هو المبادئ المسيرة للنسق طالما أنها الموجه الفعلي له تحقيقاً لغاية يرومها . هذه المبادئ هي التي تحمي النسق من الاضطراب المفاهيمي الذي يمكن أن يزعزع البناء فيصاب بشروخ تؤدي به الي التصدع .

٥ - الوحدة المنهجية :

لا تكتمل هذية النسق وانسجامه إذا لم يكن يخضع لمنهج واحد ، لأننا نعتقد أن المنهج يؤثر نظرة الفيلسوف إلي المباحث التي يتناولها ، ولذلك فايقاع أكثر من منهج يحدث تعددا في الرؤية والتناول لينجم عن ذلك خلل داخل البناء النسقي. وإذا حدث هذا فإن البناء الفلسفي يفقد هويته النسقية على الرغم من أنه يبقى دائماً ينتسب لصاحبه الذي لم يعد يتحكم به .

(1) Hegel, *Introduction to the Lectures on the History of Philosophy*, Trans, T.M. Knox and A.V. Miller (Oxford: The Clarendon Press, 1985), p.87.

(2) Kant, *Critique of Pure Reason*. Axiii.

٢ - التطبيق : حالة أرسطو

- ٤ -

قبل أن أشرع فى محاكمة النص الأرسطى من منطلق هذا البناء التصورى للنسق أود أن ألفت انتباه القارئ الى عدم التسرع فى الحكم على نسقية فلسفة ما أو عدم نسقيتها . يحدث هذا مثلا إذا ظن ان اتصاف فلسفة معينة بالشمولية أو بالوحدة المنهجية يرقى بها إلى مصاف النسقية التي عهدناها فى تاريخ الفلسفة . ولكن ما هذا بصحيح ، ذلك أن فلسفة ما يمكن أن تتصف بالوحدة المنهجية من دون أن تشكل بذلك نسقا . يصدق هذا على حركة فلسفية كالوضعية المنطقية التي تتبنى التحليل منهجا فى معالجة المشاكل الفلسفية غير أن هذا لا يعنى أنها نسق . أضف إلى ذلك ، وهذا هو الأهم ، أن طبيعة هذا المنهج كما مورس تأبى النسقية لأنه منهج يحلل اللغة الفلسفية توضيحا للمعنى وليس للبناء النسقي .

سأتناول فى هذه العجالة مثلا يوضح عمليا الفكرة السابقة. يتحدث أحد الوضعيين المناطقة، ف. ويزمان F. Waismann (١٨٩٦ - ١٩٥١) ، عن طبيعة السؤال أو المشكلة والجواب فى السياق الفلسفى فيقول ، «المسألة الحقيقية فى الفلسفة لا تكمن فى ايجاد الجواب لسؤال ما ، بل فى ايجاد معنى له»^(١).

بهذا لا تؤدي دراسة المشكلة الفلسفية إلى جواب كما نفهم ذلك عادة لأن هذا لا توفره الفلسفة ، فهي لا تقدم حولا . لكن ما هو مصير السؤال الفلسفى إذن؟ يجيب «ويزمان» السؤال الفلسفى لا يحل ، وإنما يحلل»^(٢).

(A philosophic question is not solved. it dissolves)

(1) F. Waismann, "How I See Philosophy" in A.J. Ayer, Ed. *Logical positivism* (N.Y.: The Free Press. 1959) , p. 351.

(2) Ibid., p. 354.

ثم يشرح أن هذا «التحلل» (dissolving) يكمن في جعل الالفاظ أو المفردات التي يصاغ بها السؤال واضحة لنا ، وبذلك نتحرر من هيمنته التي تعود أساسا الى الغموض الذي يكتنفه .

أحسب ، على الأقل مؤقتا ، أن الافكار المذكورة ستفى بالغرض، وهو إثبات أن المعلم الأول لا يملك نسقا حسب التصور المطروح . وليس هذا طرحا جديدا كل الجدة، إذ هناك من الباحثين من قالوا به ، كل بطريقته ، ولكن أعتقد أن الدراسات العربية لم توله الاهتمام الضروري .

أعتقد أن لكل موضوع مقتضياته المنهجية ، وموضوعنا لا يشذ عن ذلك، ولكي أحقق بعض التقدم فيه سألجا إلى المعطيات التاريخية بصفتها عاملا هاما في هذا المسعى بالاضافة إلى الممارسة المنهجية لأرسطو .

من المعطيات التاريخية أن أرسطو ألف نوعين من الكتابات :

أ - كتابات موجهة الى الجمهور غير المتخصص (exoteric)، أى الجمهور خارج اللوقيون Lyceism ، ونظرا الى ذلك فهي تتصف بخاصيتين : (١) انها غير تقنية وغير معقدة فى وسائلها التعبيرية . و (٢) إن أكثرها كتب فى شكل حوار على الطريقة الافلاطونية ، وذلك لأن أرسطو كتبها فى وقت مبكر تحت تأثير افلاطون^(١). ويبدو أن أرسطو أحال الى هذه الكتابات فى محاضراته، من ذلك ما قاله فى (الاخلاق الى نيقوماخوس) حيث السياق يتعلق بضرورة معرفة طالب السياسة النفس حتى يفهم السعادة والفضيلة :

لقد قلنا بعض الاشياء حول هذا (الموضوع : النفس) بما فيه الكفاية، حتى فى الأعمال خارج المدرسة (Exoteric) . ويجب أن نستعمل هذه ، مثال ذلك أنه يوجد فى النفس عنصر لا عقلانى ومبدأ عقلانى^(٢).

(1) G.E.R. Lloyd, pp. 10-11.

(2) Anscombe, *Nicomachean Ethics* Tr. W.D. Ross, 1102 a 26-30.

ولكن رغم وجود هذا النوع من الكتابات وصحة انتسابها الي أرسطو فإن الدراسات الارسطية تجمع على أنها ضاعت كلها ^(١) ، ولم يبق منها الا شذرات ذكرت في كتب غيره .

- ٥ -

إذا كان عدد هام من العناوين ، بصرف النظر عن محتواها الذي يجهل عنه الكثير ، قد ضاع فإن السؤال الذي يواجه الباحث عن النسق في فلسفة أرسطو هو كيف يمكن البحث عن ذلك وجزء هام من انتاجه الفكري لم يستقر في الذاكرة الفلسفية؟ يمكن أن يقال ، وهو أمر تردده كتب المتخصصين ، أن جزءا هاما من هذه الكتابات قد أُلْف في ريعان الشباب عندما كان أرسطو تحت تأثير أفلاطون . لكن هل هذا يعفيها من أن تأخذ مساحتها في النسق ؟ ثم عدّها لا تعبر عن التوجه النسقي لفلسفة المعلم الأول ألا يعنى ذلك أننا أقحمنا ذاتيتنا (تأويلنا) أكثر مما يسمح به التناول المنهجي؟ أعتقد أنه إذا كان جزء هام من النص مفقودا فإن ذلك يجعله نصا مبتورا ، وهذا البتر يجعل البحث عن نسق متكامل ومتماسك غير ذى جدوى .

ب - الكتابات التعليمية (Esoteric) :

عندما نأتي إلي الكتابات التي وصلتنا والتي تمثل المادة الهامة لفكر أرسطو نجد اختلافا كبيرا بين الدارسين حول الكثير من المسائل المتعلقة بها . سنقتصر هنا على ما يخدم البحث. إذا نظرنا إلي هذه الكتابات من حيث الشكل نجد أنها تفتقر إلى سلاسة الأسلوب ووضوحه ، أو ما يمكن تسميته بطهارة الأسلوب. وتعود هذه السمة الأسلوبية إلى أن الكتابات التعليمية لم تكن موضوعا للنشر ، فقد كانت موجهة للخاصة في المقام الأول ، وهم طلبة أرسطو في

(١) بعض هذه العناوين المفقود:

- | | | | |
|-------------------|--------------|--------------|--------------|
| 1. Smposium | 2. Politicus | 3. Sophistes | 4. Menexenus |
| 5. on the Good | 6. Grylus | 7. On Forms | 8. Eudemus |
| 9. De Philosophia | | | |

اللوقيون Lyceum . ولا تعود المشكلة الاسلوبية إلى عدم قدرة أرسطو مضاهاة أستاذه أفلاطون ، فكتابات أرسطو المنشورة والموجهة الي العامة (Exoteric) أشاد بجمالية أسلوبها بعض المتأخرين ، أمثلة شيشرون Cicero (١٠٦ - ٤٣ ق.م) ، بل تعود إلي أن أرسطو نفسه لم يكن يعتزم نشرها ومن ثم لجأ إلى أسلوب الكتابات التعليمية . أعنى بذلك أنه كان يكتب أفكاره مختصرة بغية التوسع فيها في المحاضرات ، ولذلك توصف بأنها «رؤوس أقلام»^(١) (Lecture notes) . وهذا ما جعل أرسطو يضيف إليها ويعدل باستمرار . ويقوم بذلك بإستعانة معاونيه^(٢) .

غير أن هذه التسمية لم ترق لبعض الدارسين فخففوا منها بقولهم إنها «مسودات محاضرات» (Working drafts)^(٣) .

هذه الخاصية التي لا ينفىها المتخصصون نتطوى على جملة من المشاكل، من ذلك أنها تفسر الانتقال المفاجيء فى النصوص وعدم الاتساق فى العرض، يضاف إلى ذلك أن محاولة اخضاع هذه النصوص لترتيب زمنى تكون صعبة جدا ان لم نقل مستحيلة . تعود هذه الصعوبة إلى التعديل والاضافة في فترات مختلفة . ومن هنا فإن اللجوء إلى التقنية المعروفة بالاحالات بين النصوص (Cross-references) لا يؤتمن دائما . ولا يلام أرسطو إذا كان فعلا لم يكن ينوي نشرها ، ثم إننا لا ندرى لماذا لم يؤرخ لا عماله ، خاصة إذا علمنا أن عملية التأريخ لم تكن مجهولة لدى اليونان ، فأبيقور Epicurus مثلا (٣٤١ - ٢٧١) أرخ بعض أعماله .

حسب بعض المتخصصين هناك بعض المؤلفات من بين الأعمال الأرسطية لم يؤلفها أرسطو نفسه ، من هذه الميكانيكا Mechanics المسائل Problems

(1) W.K. C. Guthrie, p. 50.

(2) Ibid.

(3) Y. Barnes, "Life and work" in Y. Barnes, ed. *The Cambridge Companion To Aristotle* (Cambridge: Cambridge University Press, 1995), p. 14.

يذكر Lloyd صاحب هذا الرأي ، أن هذا الكتاب المسائل ورد في نصوص أخرى لأرسطو بهذا العنوان ، غير أن احالات أرسطو إليه في كتبه الأخرى، «لم ينطبق على العموم مع أى مقطع»^(١) من الكتاب المذكور . أما فيما يخص كتاب (الآثار العلوية) Meteorologica فليس سهلا اثبات انتساب المقالة الرابعة فيه إلى أرسطو ، وكذلك هو الشأن بالنسبة إلى تاريخ الحيوان-Historia ani malium حيث المقالة العاشرة فيه يمكن أن ترفض . أما المقالات VII - XI فصحة نسبها إلى أرسطو مشكوك فيها^(٢) .

- ٦ -

لا يمكننى أن أتطرق الى كل الأعمال من حيث صحة نسبها إلى أرسطو وعدم صحة ذلك ، فليس هذا الفضاء مكانا لذلك ولا أدعي التخصص الدقيق في الأرسطيات .

ومع ذلك فإن ما كتبه بعض المتخصصين استنادا إلى طبيعة النصوص الأرسطية يدل على جدية هذه المسألة . ولكن بما أن السياق يستلزم ، ولو جزئيا، الاستدلال ببعض النصوص فإن أحسن ما يعبر عن التشتت النصي هو الميتافيزيقا التي يعتقد أنها أعقد ما كتب أرسطو .

إذا بدأنا بالعنوان نجد أن المراجع العامة منها خاصة ، تذكر أن العنوان ظهر لغاية تنظيمية ، ويعنى المؤلفات التي تأتي في الترتيب بعد كتاب (الفزيقا)^(٣) ، وهو ما يدل عليه المقطع ميتا (Meta) ، كما تذكر أن أول ذكر لهذا المصطلح وجد عند نيكولا الدمشقي (فى النصف الأول من القرن الاول ق.م)^(٤) . نجد أن هناك من ذهب إلى أن هذا المصطلح يحمل معنى مذهبيا (doctrinal) ، أي أن

(1) G.E..R Lloyd. p. 16.

(2) Ibid.

(3) W.D. Rioss, *Aristotle*, 5 ler ed. (N.Y: Meridian Books, 1959), p. 20.

(4) P. Aubenque, *Le Probleme de l'etre Chez Aristote* (Parisi PUF, 1996, 1st. ed., 1962), p. 29.

الاعتبارات الميتافيزيقية تأتي بعد المؤلفات الطبيعية وتتجاوزها^(١) ، وهذا ما تقتضيه طبيعة الموضوع المدروس .

لم يكن العنوان مرتعا لجدل كبير سواء أخذ في معناه الشائع أو في سياقه المذهبي، لأنه بعض النظر عن اتجاه معناه قد صار الاستعمال الشائع الذي يعرف به هذا المؤلف . ولكن المشكلة تثار بحده عندما نأتي الي محتوي الميتافيزيقا التي لا تشكل ، من الناحية التاريخية على الأقل ، كتابا واحدا لأن ظهور هذا المؤلف بشكله المعروف يعود إلى ترتيب أول ناشر لأعمال أرسطو «أندرونيكوس الروديسي» Andronicus of Rhodes الذي كان ، بعد أرسطو ، عاشر رئيس للوقيون (٥٠ - ٧٠ ق.م)

نحن لم نطور دراساتنا التاريخية في الفلسفة اليونانية حتى نلجأ إلى متخصصين عرب لذلك قرأت دائما نلجأ الي متخصصين أجانب . وبما أن فضاء هذه الأفكار لا يسمح باستعراض آراء المتخصصين ، وهم كثر ، فسأقتصر على بعض منهم . أبدأ بـ «ابوارد تسلر» Eduard Zelles (١٩٠٨ - ١٨١٤) الذي يعد من أكبر المتخصصين الألمان في الفلسفة اليونانية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

يرى هذا الدارس أن إطلاق مصطلح الميتافيزيقا الذي يرجح أن يكون معروفا لدى الحشائين قبل زمن «ألدوينكوس» على بعض مؤلفات أرسطو يدل على أن هذا الأخير يبني الميتافيزيقا علي الفيزيقا، يتألف الكتاب في شكله الحالي من أربع عشرة مقالة تم تأليفها في أوقات مختلفة لتجمع تحت عنوان واحد ، الميتافيزيقا، وبذلك تخلو من أية حدة يفترض وجودها في الكتب بمادة^(٢) . ذلك ما تؤيده بعض الدراسات المتخصصة ، فهذا أحد كبار

(1) Y. Owens, *The Doctrine of Being in the Aristotelian Metaphysics* 2nd, ed, (Canada: Pontifical Institute of Medieval Studies, 1963), p. 74.

(2) E. Zeller, *Outlines of the History of Greek Philosophy*, 13th ed. revised by W. Nestle and tr. by L.R. Pamer (N.Y: Meridian Book, 1959), p. 181.

المختصين، وديفيد روص David Ross المعروف بترجمته الانجليزية لـ «الميتافيزيقا» وتعليقه علينا، إضافة إلى ترجمات أخرى مع شروح لها يذكر وصفا عاما لهذا الكتاب:

يبدو بديهيها وللوهلة الأولى أنها (الميتافيزيقا) ليست عملا منتهيا يراد له أن يقرأ في صورته الحالية ، فليس فقط أن المقالات : «الفا الصغرى» و«دلتا» و«كابا» تعد إقحاما واضحا ، بل حتى المقالات الأخرى تفتقر إلى تواصل الأفكار الذي يتوقعه القاريء من مؤلف واحد^(١) .

ويبدو أن هناك تداخلا بين مواضيعها ، بل بعضها لا ينسب حتي إلى أرسطو . ذلك هو حال «الفا الصغرى» (Little alpha) التي نسبها حتى القدامى إلي «باسيكلس الروديسي» (Pasicles of Rhodes) والتي تتألف من ملاحظات (Notes) كان هذا الطالب قد دونها من محاضرة كانت (حسب (14 a 995 3 مدخلا)، ليس للميتافيزيقا ، بل للفيزيقا»^(٢) .

ويذهب Zeller إلي أن مقالة Delta تعد معزولة عن غيرها من المقالات، وإن كانت موجهة ضد ثنائية الاكاديميين . أما مقالة Kappa فتكرر فصولها ١ - ٨ باختصار محتويات المقالات Beta, Gamma, Epsilon. اما الفصول ٩ - ١٢ فهي اقتباسات من عدة كتب من الفيزياء^(٣) يحددها «روص» Ross بالمقالات V.III. II ، و ويواصل «روص» إن نحو (grammar) هذه المقالة (Kappa) ليس أرسطيا في بعض مناحيه، فهو يمثل بحق ملاحظات سجلها أحد الطلبة ، وتؤيده في هذا بعض الدراسات الحديثة جدا^(٤) . وضع كهذا يجعلنا محرجين في نظرتنا إلى هذا الكتاب .

(1) W.D. Ross, "Introduction" to *Aristotle's Metaphysics, A Revised Text with Introduction and Commentary* vol. I (Oxford: The Clarendon Press, 1966), p. xi.

(2) E. Zeller, Ibid.

(3) E. Zeller, p. 182.

(4) W.D. Ross, *Aristotle* . p. 20.

لا يمكننا التعامل مع جميع الكتابات الأرسطية لأسباب شرحناها ، ولذا نستند الى ما كتبه العالمون بالموضوع . لقد ذكرت الجانب الشكلى للموضوع ، أى المسألة الأسلوبية ، أما الآن فسأتطرق إلى الجانب البنائى ، وفى هذا يصرح أحد الباحثين أننا لا نعرف كيف كتب أرسطو مؤلفاته كتابة بنائية ، ذلك أن الانتاج الأرسطى كما وصلنا هو من صنع الناشر الأول لهذه الأعمال -Antroni cus لأنه هو الذى قام بترتيب النصوص وتصنيفها الى كتب^(١) . وبعضهم يستند إلى شهادة تاريخية لـ «فورفوريوس» Porphyry (٢٣٢ - ٣٠٤) الذى ألف سيرة بعنوان حياة أفلوطين حيث قال «إنه Andronicus صنف أعمال أرسطو ويثرفراسنس(Theophrastus) إلى مقالات مجمعا إياها حسب المواضيع المناسبة»^(٢). نحن إذن نجهل مسار النص الأرسطى ، فالإتجاه الذى اتخذه كما هو موجود لدينا كان من وحى فهم الناشر، وقد يكون مختلفا لو أن أرسطو ألفها بغية النشر . لا يمكن التأكد من صحة هذا الزعم ، ولكن احتمال صوابه قوى جدا ذلك أن شخصين لا يوجهان النص نفس الوجهة. وجهة النص تؤثر حتما فى حركة السياق الذى تتأثر به .

إذا كان هذا ما حصل للنص الارسطى ، وهو ما تؤكد المراجع التاريخية ، فهل يمكن ، والحالة هذه ، أن يتحقق المطلب النسقى لنصوص لا نعرف كيف كتبها صاحبها؟ إذا كان هذا هو المسار الذى اتخذته النصوص الارسطية، إضافة إلى خاصيته الأسلوبية وما لحقها من تعديل وإضافة واقحام من طرف أرسطو أو اتباعه ، فهى لا يمكن أن تشكل نسقا بالمعنى المتداول . ومن ثم فقد يكون خطأ أن نقرأ قراءة نسقية لأن النسق يكون حينئذ اقحاما وفرضا لامبرر له. ثم إن القراءة النسقية تنظر إلى الفلسفة الارسطية على أنها كل جامد

(1) G.E.R. Lloyd, P. 14.

(2) Quoted in Barnes "Life and work" in Y. Barnes, ed., p. 11.

ودغماتى . غير أن هذه القراءة النسقية التى سادت قرونا ليست الوحيدة ، إذ ليس ضروريا أن تتصف فلسفة أرسطو بهذه الصفة ، ولتغييرها كان لابد من أحداث ثورة وهذا ما حققه الباحث الالماني W. Jaeger الذى تعد أبحاثه نقطة تحول فى تاريخ الدراسات الارسطية ، وذلك بكتابه :

(1) Studien Zur Entstehungsgeschichte der Metaphysik des Aristotles (1912).

دراسات فى تاريخ تكوين ميتافيزيقا أرسطو .

(2) Aristotlen: Grundlegung einer Geschichte seiner Entwicklung (1923).

أرسطو : الأسس التاريخية لتطوره الفكرى . .

حيث يدعو فى كتابه الأول الى تطبيق المنهج التأريخى على الميتافيزيقا ثم يصمم هذا المنهج فى كتابه الثانى على فلسفة أرسطو كلها .

الفكرة العامة التى توجه دراسة هذا الباحث هو أن الفكر الأرسطى لم يكن وحدة جاهزة وساكنة بل خضع لتطور عبر مراحل . هذا التطور بدأ افلاطونيا مهتما بالموضوعات المقارنة ثم نزع نحو عالم التجربة . المسار إذن كان من الافلاطونية إلى التجريبية (Empiricism) . انسجاما مع هذا الطرح العام تكون الفلسفة الارسطية قد مرت بثلاث مراحل .

أ - المرحلة الافلاطونية :

وفيهما يعتنق أرسطو فلسفة افلاطون محتوى وشكلا . يظهر الشكل فى إن كثيرا من مؤلفاته الأولى اتبعت الطريقة الحوارية ، ولا غرابة فى ذلك فأرسطو كان قد قضى عشرين سنة طالبا فى الاكاديمية ومدرسا بها ، ويذكر بعض المؤرخين شهادة Cephsodorus تلميذ Isocrates الذى ترأس اللوقيون

والذى ذكر انتماء أرسطو إلى فلسفة أفلاطون فيما يخص نظرية المثل^(١) . ذلك ما تبينه محاوره Eudemus التى تتخذ النفس موضوعا لها . فى هذا العمل يلجأ أرسطو إلى مفهوم افلاطون عن التذكر وإدراك المثل فى حالة وجود النفس قبل اتصالها بالعالم الحس^(٢) محاولا فى ذلك أن يثبت أن النفس خالدة وأن للموتى وجودا أسمى من وجود الاحياء . وهكذا يبدو أنه هذه المحاوره تقتدى بمحاوره أفلاطون فيدون * .

ب - المرحلة الثانية : الرحلات العلمية :

تبدأ هذه المرحلة بوفاة افلاطون سنة ٣٤٧ ق.م. كان أرسطو يأمل فى أن توكل إليه رئاسة الاكاديمية بعد رحيل استاذة ، ولكنها أكلت إلى ابن أخت افلاطون ، «اسبوسيبوس» (Speusippus) ** ، ولكن لم يكن هذا الحدث مهما من الناحية الفلسفية ، لذا لم يكن ارث رئاسة الاكاديمية يعنى ارث الروح الافلاطونية . يغادر أرسطو صحبة Xenocrates اثينا متجهين إلى اسيا الصغرى (أسوس Assos ولسبوس Lesbos) ومقدونيا . فى جزيرة Lesbus يلتقى بـ «ثيوفراسيس» (Theophrastus) الذى عرف باتجاهه العلمى والذى

(1) F. Copleston, *A History of Philosophy*, Vol. 1 (Westminster, :A: The Newman Bookshop, 1946, repr. 1966), p. 269.

(2) G. ER. Lloyd, p. 29.

يذكر Lloyd أن اعتقادا ساد فى الأدب اليونانى المبكر مفاده «أن من الأحسن للناس ألا يكونوا قد ولدوا أبدا ... أما وأنهم ولدوا فالأحسن لهم بعد ذلك أن يموتوا فى أسرع وقت ممكن» المرجع نفسه .

* يذكر الاستاذ جميل صليبا أن المرحلة الأولى تعد «أهم مراحل حياته، لا لتأثيرها فى تنشئته العقلية فحسب ، بل لاتاحتها له فرصة الاتصال بفيلسوف مثل افلاطون حتى صار من أكبر تلاميذه ، انظر كتابه تاريخ الفلسفة الاسلامية، ط ٢ (بيروت : دار الكتاب اللبنانى ، ١٩٧٣)، ص ٦٤، ولكن هذا فى رأينا حكم لا مبرر له .

** قد يعود ذلك إلى العلاقة الخاصة بينه وبين أفلاطون ، وكذلك الى كونه مخولا قانونا ليرث ملكية تنتمى الى العائلة ، أرسطو لم يكن اثينيا ولا فى وضعية تسمح له برياسة الاكاديمية ، انظر Guthrie، ص ٢٤ (مرجع سابق) .

سيخلف أرسطو في رئاسة اللوقيون .

تتسم هذه المرحلة باهتمام أرسطو بالعلوم الطبيعية مخصصا جزءا من وقته لبيولوجيا البحار. وبهذا يبتعد أرسطو ، حسب «ييجر» Jaeger عن الأفلاطونية ليستقل بمذاهبه الميتافيزيقية ، مثل الاسباب الأربعة ومذهب الجهر^(١).

ج - المرحلة الثالثة : العودة إلى أثينا وتأسيس اللوقيون :

يعود أرسطو إلى أثينا سنة ٣٣٥ ق.م ليؤسس اللوقيون Lyceun في هذه المرحلة يؤلف مقالاته البيولوجية ومجموعته في التاريخ الدستوري ، هذه الأعمال العلمية تمثل بالنسبة إلى Jaeger «نمطاً علمياً من البحث الدقيق في العالم الحقيقي، وهذا كان شيئاً جديداً تماماً ورائداً في الحياة اليونانية آنذاك»^(٢). استناداً إلى هذه النظرة يكون أرسطو قد نَمى فكره بالابتعاد عن التأمّلات الأفلاطونية والاتجاه نحو التجريبية .

تتبنى هذه النظرية التطورية لفكر أرسطو إعتقد Jaeger أنه استطاع أن يحل اضطراب النص الارسطي الذي يظهر أنه تشكل في مراحل زمنية مختلفة. وهكذا تظهر المقالات المؤلفة للميتافيزيقا ليست في مستوى واحد ، ليتبين أن بعضها لا ينسب لأرسطو أصلاً ، يعتمد Jaeger أساساً الفنيات الأسلوبية في التركيب ، فمقالة «الفا» Alpha تم التأريخ لها بناءً على الفصل التاسع حيث يصف أرسطو الذين تبنا نظرية المثل باستعمال ضمير المتكلم «نحن» من ذلك مثلاً قول «المسالك التي نبين بها أن المثل موجودة» ، وهذا يدل على أن أرسطو كان يكتب بصفته أفلاطونياً^(٣). واعتماداً على هذه التقنية الأسلوبية «نحن» تكون المقالة Beta و 9-10 M تنتمي إلى المرحلة نفسها ، وبما أن الفصلين ٩ - ١٠ س

(1) G.E.R Lloyd, pp. 20 - 21.

(2) Ibid., p. 21.

(3) W.R.C Guthrie, p. 12 and N.2.

MU يعتبران مقدمة لـ NU يعتبران مقدمة لـ NI فإن هذا الأخير ينتمى إلى المرحلة نفسها .

المقالات Theta, Eta , Zeta تتناول الجوهر الحسى ، وهى بذلك تنتمى إلى مرحلة متأخرة عندما تحول اهتمام أرسطو من العالم فوق الحسى (الأفلاطونى) إلى العالم الحسى^(١) . بل يذهب إلى أن هذه المقالات ، ما دام تتناول الجوهر الحسى ، فهى تنتمى إلى الفيزيكا وليس إلى الميتافيزيكا^(٢).

هذا جزء من عصارة البحث الذى قام Jaeger فيما يخص الميتافيزيكا ، وهو بهذا يبين أن هذا العمل لم يكن انتاجا جاهزا يدل به أن مؤلفة واحد* وأنه ينتمى إلى مرحلة متأخرة من النضج كما ساد الاعتقاد وقتا ما . قد يعود هذا الاعتقاد إلى أن هذا النص هو الذى يتحدث فيه أرسطو عن «الفلسفة الأولى» التى تعلو كل العلوم الأخرى مرتبة ، ولذلك فلا بد أن تكون قمة النضج الفكرى.

بعد هذا الذى ذكرناه فيما يخص الميتافيزيكا يبقى السؤال المنهجى قائما: إذ كانت «الفلسفة الأولى» تتحكم بها نصوص بهذا التفكك فهل يمكنها أن تقوم بدور التنسيق (Systematization) ، وهو عادة الدور التقليدى للميتافيزيكا؟

قيل أن انتقل إلى جوانب أخرى من معالجة هذه المسألة أريد أن أذكر، على سبيل الإشارة ، أن الميتافيزيكا ليست العمل الوحيد الذى يعانى تفكك الأوصال النصية، وإن كانت أكثر النصوص الارسطية إثارة لاشكال الوحدة ، فهناك الفيزيكا التى يرى بعض المؤرخين أن مقاليتها الأولى والثانية تنتمي إلى المرحلة

(1) Y, Owens, *The Doctrine of Being*, p. 94.

(2) W.D Ross, "Introduction" vol. 1, p. xix.

* من ذلك مثلا مقالة «الفا الصغرى» ليست من تأليف أرسطو ، فهذه المقالة ، يكتب Ross «توقف المسار بين Alpha, Beta ، فهى لا تحيل إلى أية مقالة أخرى، ولا تحيل هذه إليها .. بالعنوان نفسه يبين أنها إقحام متأخر ، ربما آخر اقحام ، يضاف إلى النصوص المؤلفة للميتافيزيكا ، اقحمت بعد أن تم ترقيم المقالات الأخرى» (المرجع البق ، ص XXV).

الافلاطونية . أما المقالة الثامنة «فلا تشكل ، حقيقة، جزءا من الفيزيكا أطلاقا ما دام أرسطو يستشهد ب الفيزيكا ذاكرا عبارة «كما بينا سابقا في الفيزيكا»^(١).

قبل أن تجربنا هذه التأملات إلى جوانب أخرى أود أن أشير الى بعض الآثار التي ترتبت على قراءة Jaeger ومنهجه الذي يوصف عادة بأنه «منهج تكويني» (genetic approach) . يظهر ذلك في جروز قراءات متعارضة وأحيانا متناقضة .

١ - يرى الباحث Goehlke ان كل ما وصلنا من نصوص كان من تأليف أرسطو^(٢) .

٢ - أما F.Grayel فيرى في كتابه أرسطو ومدرسته Aristotle and his School (١٩٧٤) ان الأعمال الموجهة للعامة (Exoteric) هي وحدها التي ألفها أرسطو ، اما الاعمال التعليمية الأخرى ، وهي التي لدينا ، فهي من عمل المدرسة Lyceum على مدى ٢٥٠ عاما^(٣) .

٣ - تأتي القراءة الشاذة لـ Zurchar لتنفى عن أرسطو أى تأليف تقريبا، إذ بعد قضاء عشر سنوات من «الدراسة المتعلقة بأسلوب ارسطو وتعاليمه» يخلص هذا الباحث إلى «أن لم يكن أرسطو بل تلميذه Theophrastus هو الذى كتب اكثر النصوص كما هي موجودة لدينا»^(٤) . ذلك ما ذكره فى كتابه أرسطو : فكرة وأعماله (Aristotles work and Geist (1952 قراءة كهذه غريبة جدا ، وقد لا يوجد لها نظير فى نصوص غير أرسطية، ولذلك فهي تتجاوز اشكالية وجود النسق أو عدم وجوده .

(1) F. Copleston, *A History of Philosophy* vol. 1, p. 273 (The quote is from *Physics*, VIII. 251 aa. 253b 21).

(2) W.K.C. Guthrie. p., 50.

(3) Ibid., p. 51.

(4) M. Greme, *A Portrait of Aristotle* (Chicago: chicago Univerisdty Press, 1963) p.2.

يمكن أن يكون ما قيل حتى الآن يفى بالغرض، غير أننا رأينا أن ندعمه
 بآثاره نقاط أخرى من أهمها مشكلة التعارض بين الطرح الانطولوجي ،
 والمطلب المعرفي . نحن نعرف أن فلسفة أرسطو ، من الناحية الانطولوجية،
 فلسفة جوهر . إذ لو أردنا إثارة السؤال الانطولوجي علي طريقة «كواين»
 Quine في مقاله الشهير «حول ما يوجد هناك»^(١) (On What there is) لكان
 الجواب : الجواهر بصفتها الوحدات الانطولوجية الاساسية التي يقوم عليها
 البناء الفلسفي لأرسطو . وفي هذا نرى أرسطو في المقالة السابعة من
 الميتافيزيقا يعلن صراحة أن السؤال الذي طرح دائما حول الكينونة يُرد في
 الحقيقة إلى سؤال عن الجوهر . لكن ما هو الجوهر عند أرسطو ، لا نجد اجابة
 واحدة وواضحة لديه .

يعد كتاب المقالات عملا مبكرا ، ويأتى في مقدمة الأورغانون ، غير أنه ليس
 عملا منطقيًا بحتا فهو لا يخلو من طروحات أنطولوجية ، ولذلك فهم كانط أن
 مقولات أرسطو انطولوجية تهتم ببنية الاشياء . ليس هذا الفهم خاطئا ، فأرسطو
 عندما يحدد معاني «الجوهر» يذكر صراحة أن هذا المصطلح يطلق في معناه
 الأول والأساس على الأفراد . ذلك ما يصرح به في الفصل الخامس عندما يأتى
 بأمثلة «الرجل المفرد» (The individual man) أو «الحصان المفرد» (The
 individual horse) ولكنه يطلق الجوهر ايضا على الأنواع والاجناس ، ويكون
 استعماله حينئذ ثانويا^(٢) طالما ان هذه «تقال عن الجوهر» في معناه
 الأولى (Primary) الذي يؤهله لأن يكون موضوعا للحمل . ثم إن الجوهر بهذا
 يحقق وحدته العددية حتى يشار اليه بـ «هذا»^(٣).

(1) Quine, "On What there is" in *From a Logical Point of View* (N.Y.: Huper and Row Publishess. 1961). pp. 1-19.

(2) Aristotle, *Categories and De Interpretation* tr. J.L. Ackrill (Oxford: The Clarendon Press. 1463). 5. 2 a 11.

(3) Ibid., 2 b 10.

عندما تنتقل الى الميتافيزيقا نرى الدارسين فى هذا الموضوع يركزون على المقالة السابقة Zeta حيث يحول أرسطو السؤال عن الكينونة الى سؤال عن الجوهر، وهنا يتغير اتجاه التحليل .

يطلق مصطلح «الجوهر» على أربعة معان ، إن لم يكن أكثر من ذلك ، ذلك أنه يعتقد أن الماهية جوهر الفرد، الكلى ، والجنس ورابعا المادة (Z3. 1028b 34) (The underlying subject) (35) -

لكن إذا كان الجوهر فى المقولات قد تعين بالفرد فإنه فى الميتافيزيقا يتعين بالمادة أو بالصورة وهما سيان عند أرسطو . ذلك ما يحدده المعلم الأول الذى ، بعد التواءات أسلوبية يعرف بها ، يتساءل :

لماذا تكون المادة شيئا ما ؟ فمثلا لماذا نجعل هذه المواد منزلا ؟ لأنها جميعا تتصف بـ «هذا؟ الذى هو ماهية المنزل، ولأن رجلا معنا هو «هذا» أو لأن هذا الجسم يتصف بـ «هذا» ، وهكذا نحن نروم السبب (وهذا هو الصورة) الذى من خلاله تكون المادة شيئا ما ، وهذا السبب هو جوهر الشئ» (717, 1041 b 5-9)

هذا ايضا ما ينتهى اليه Ross فى تعليقه عندما يعلن أن ما يجعل المادة شيئا معنا هو حضور الماهية التى تحدد هذا الشئ ليتخذ هوية معينة، لذلك كانت الصورة وليست المادة هى مبدأ التحدد .

لكن ما هى «فضائل» الصورة التى جعلت أرسطو يركز عليها فى تحديد معنى الجوهر؟ إنها تخرجه من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل، وتجعله موضوعا قابلا للتعريف والمعرفة . وبهذا تكون الصورة قد فتحت لأرسطو فضاء منطقيا ومعرفيا . ولعل هناك أسبابا كثيرة جعلت أرسطو ينفى الجوهرية عن الأفراد، وهناك بعض الشواهد الصريحة التى يذكر فيها مبرراته التى يمكن ردها إلى مبررات منطقية ومعرفية .

لا يوجد تعريف للأفراد ، ذلك أن التعرف عليها يتم حدسيا ومن خلال الاحساس. أما خارج التجربة الفعلية فليس واضحا إن كانت موجودة أو غير موجودة (8-5 1036 a Z 10) .

وكونها توجد أو لا توجد يعنى أن حالتها الوجودية تتصف بالفموض الذى لا يؤهلها ولأن تكون موضوعا قابلا للمعرفة العلمية . لذا بعد تأمل الافراد يلاحظ أرسطو أنها معرضة للتلف والزوال ليستنتج .

إذن لا يوجد تعريف ولا برهان للجواهر المدركة (perceptible) لأنها تحتوى على مادة ، وهى (المادة) ذات طبيعة معينة تجعلها (الجواهر الفردية) توجد أو لا توجد، ومن ثم يلزم أن كل الأفراد قابلة للفساد (Perishable) .

(Z 15m 1039 b 27-31)

رغم أن مذهب أرسطو فى الجوهر معقد فإن الفكرة العامة قد اتضحت من خلال المقارنة بين النصين اللذين ينطويان على تعارض، فإذا كان الجوهر فى المقولات يتحدد بالفرد (الميتافيزيقا) بالماهية أو الصورة أفلا يكون لدينا بذلك طرح انطولوجى وطرح ابستمولوجى؟ أنا لا أنفى ان تكون هناك قراءة توافمية، وهى موجودة ، وضدها موجود أيضا ،. ولكن الانسجام الناجم عن ذلك يكون حينئذ من عمل القارى أو المؤول .

يمكننا أيضا أن نجد نصوصا أخرى تجسد تعارضا من هذا القبيل، وفى كتاب فى النفس يوحد أرسطو بين النفس والجسد ، وهذه الوحدة ليست موضع تساؤل .

هذا ما يجعلنا نترك السؤال عما إذا كانت النفس ، والجسد شيئا واحدا بصفته سؤالا غير ضرورى : وهو بلا معنى ، ومثله فى ذلك مثل السؤال عما إذا السمع والشكل الذى تتخذه شيئا واحدا، أو بصفة عامة ، عما اذا كانت مادة الشيء المصنوع منها شيئا واحدا. (8-6 412b II 1) .

غير أنه فى مكان آخر نراه يحاول أن يجد مكانا للنفس فى الجسد ، ذلك ما
يرتبه فى مقالة قصيرة تعرف بـ فى الشباب والشخوخة De la Jemess et de
. la Vielene

لقد قدمنا فى مكان آخر شرحا عن النفس ، فبينما يتضح ان
حقيقتها الاساسية لا يمكن ان تكون جسمانية فمن الواضح أنها
يجب أن توجد فى بعض أطراف الجسد الذى يجب أن يكون من
الأطراف المتحركة فى الأعضاء^(١).

يبدو أن هذا الجزء الذى يخص به أرسطو النفس هو القلب .

يمكن للباحث أن يكتشف اضطرابات نصية لدى أرسطو وغيره من الفلاسفة
. هذه الاضطرابات تمثل عوائق أمام القراءة الباحثة عن وحدة فى النصوص ،
ولكنها فى الوقت ذاته توجه القراءة لتتميز كل قراءة عن غيرها . واختلاف
القراءات ينم عن اختلاف المواقف التأويلية لأن النص موضوع القراءة يفتح أمام
كل قارئ انفتاحا خاصا يداعب فهم الدارس ليشكل معه المنحى الذى يريده هذا
الدارس أو ذاك .

لا أريد أن أسترسل فى هذه التموجات التأويلية وإن كانت تداعياتها تفتح
فعلا قضاء خصباً ينتقل بالقارئ وبالنص ، مهما بعد تاريخيا ، إلى لحظة عناق
وتوتر لحظة وصل وفصل يتشكل بها نص جديد . إذا كان هذا هو واقع القراءة
فإن ما ينتج عن فعل القراءة يبين أن النص الأصلي يعيش ، ما إن يظهر ، لحظة
طلاق من صاحبه ليعرف حياة أخرى ما كان ممكنا لصاحبه أن يتنبأ بها .

- ٩ -

عندما نتحدث عن الجوهر نكون بذلك فى صميم الميتافيزيقا ، والمشكلة هنا
تطرح ، لا على مستوى اضطراب النصوص ، بل على مستوى المعلم الذى يدرس

(1) Aristote. "De La jeunesse et de la vieillesse" in *Petets traites d'histoire naturelle*, texte etablis et traduit par Rene ugiier (Paris: Societe d Edition" les Belles Lettres". 1953). I. 467 b 13 FF.

هذا الموضوع . ما هو ، إذن ، موضوع الميتافيزيقا؟ لا يجد القارئ جوابا واحدا لدى الباحثين ، ويعود ذلك طبعا الى الفجاءات البحثية التي يوكل أرسطو الى الميتافيزيقا، وفي هذا السياق يورد الباحثون عادة تعريفين للميتافيزيقا .

هناك علم يبحث فى الكائنات من حيث كينونتها والصفات التى ترتبط بها بالنظر إلى طبيعتها الخاصة بها، وليس هذا يماثل أيا من العلوم الخاصة، إذ لا واحد من هذه يتناول عموما الكائنات من حيث كينونتها - بل إن كلا منها يقطع جزءا من الكينونة ويدرس صفات هذا الجزء (هذا ما تقوم به العلوم، الرياضية مثلا) (Gamma I, 100 3a 20-26) .

يلاحظ فى هذا النص الصريح أن أرسطو لا يسمى هذا العلم بل يقرر وجوده فقط ويوسع من فضائه من حيث العمومية ، أما العلوم الأخرى فهى خاصة ومتخصصة . ويعود ذلك إلى طبيعة الموضوع الذى تدرسه ، وهناك تعريف آخر يختلف باختلاف الموضوع .

إذ كانت هناك جواهر غير متحركة (وأرسطو يعتقد بوجودها) فإن العلم الذى يتناولها يجب إن يكون أوليا (Prior) ، ويجب أن يكون الفلسفة الأولى، وتكون هذه كلية بهذه الطريقة (أى) بالنظر إلى كونها أولية.

(E1, 1026 a 29-30)

أما فى كتاب «الفا» Alpha فيدعوننا أرسطو الى البحث عن «العلم الاسمى» الذى «يبحث عن المبادئ والاسباب الأولى» (A2. 982 b8) . وفوق هذه جميعا تأتى المقالة السابعة (Zeta) وهى مقالة متأخرة تنم عن نضج الفكرة لتصرح :

ان السؤال الذى طرح باستمرار ، الآن ، وفى الماضى ، والذى كان دائما مدعاة للحيرة ، أى ما هى الكينونة ؟ هو ما الجوهر ؟ (Z 1. 1020 b-4) . حسب هذا النص الأخير يكون الجوهر هو موضوع الميتافيزيقا .

اختلاف الفضاءات البحثية لا يعود إلى أرسطو التاريخي لأنه لم يمكن هو الذي رتب النصوص هذا الترتيب ، ولكن مهما يكن الأمر فإن الدارس يقف حائرا أمام هذه القضايا ، وقد انقسم الباحثون إلى باحث عن وحدة في النص الأرسطي وإلى ناف إياها ، وكل هذا بالاعتماد على النصوص نفسها . من بين الذين نعو ان تكون هناك وحدة P. Aubenque, Jaeger^(١) ، ومن الذين دافعوا عنها Joseph Ownes الذي حاول أن يرد على طرح Jaeger ومنهجه^(٢) .

يرى P. Aubenque أن الميتافيزيقا تطرح موضوعين : الكينونة من حيث هي كذلك (L'etre ou tout qu'etre) وهذا موضوع الانطولوجيا ، والكائنات فوق الحسية ، وهذا موضوع الفلسفة الأولى أو اللاهوت ، ويبدو أن أرسطو دشّن مبحث الانطولوجيا بعيدا عن الاهتمامات اللاهوتية :

لقد بينا ... أن المشروع الانطولوجي ظهر عند أرسطو مستقلا عن كل الاهتمامات اللاهوتية ، ونتيجة لذلك فانه عندما يتحدث عن الكينونة من حيث هي كينونة ، أي الكينونة وحدثها ، فهو لا يسعى أبدا الى وحدة الكائن الإلهي وكنيونة العالم دون القمر (Subluvaire) أو (وحدة) الكائن فوق الحسى ، والكائن الحسى ، بل يسعى إلى وحدة الكينونة داخل العالم الحسى^(٣) .

بهذا يكون Aubenque قد سار في اتجاه Jaeger من دون أن يأخذ بطروحاته في طبيعة تشكّل النص الأرسطي . ولكن على الرغم من أنه يصرح برفضه الوحدة النسقية المزعومة ، فهو إنما يفعل ذلك إذا كانت هذه الوحدة مسلما بها منذ البداية ، ولكنه لا يرفضها إذا كانت مسعى أو مقصدا تتجه إليه النصوص الأرسطية^(٤) .

(1) P. Abenque, *Le Probleme de l'etre chez Aristotle* (Paris, PUF, 1962, repr. 1996).

(2) J. Ownes, *The Doctrine of Being in the Arislotelian Metaphysics* 2 nd., ed (Toronto, Canad) A: Pontifical Institute of Medie Studies, 1963) .

(3) P. Aubenque, p. 370.

(4) Ibid., p. 11.

لعل ما ذكرته فيما يخص موضوع الميتافيزيقا يفى بالغرض ، ولكن قبل أن أنهى هذه الاشكالية البحثية هناك جانب منهجى رأيت أن القاء الضوء عليه يؤيد الفكرة العامة التى تريد هذه الورقة اثباتها .

المعروف عن أرسطو قوله بتعدد المناهج ، ويعود هذا التعدد عموما الى طبيعة الموضوع . من ذلك رأيه فى تطبيق المنهج الرياضى الذى لا يراه يصلح لكل شىء، بل صلاحيته تقتصر على الموضوعات الخالية من المادة ، وهو هنا، بغض النظر عن مدى صحة رأيه أو خطئه ، لا يراه صالحا للفيزياء لأن الظاهرة الفيزيائية لا تخلو من مادة (18-15a 995, 3 a) . ونجد دعوته إلى التعددية المنهجية صريحة ، فى مكان آخر حيث يناقش نظرية المثل عند أفلاطون مركزا على تعدد المعانى لمفهوم الخير ، شأنه فى ذلك شأن «الكيونة» .

وكما أن الكيونة ليست واحدة بالطرق التى ذكرت فذلك هو شأن الخير، ومن ثم فلا يوجد علم خاص بالكيونة أو بالخير . وحتى الاشياء الخيرة نفسها فى اطار الصنف نفسه (الخير) ليست مواضيع لعلم واحد، من ذلك مثلا الفرصة (opportunity) والاعتدال (Moderation).

الفنون المختلفة تغطى أنواعا مختلفة من الفرصة والاعتدال من حيث علاقتهما بالغذاء ؛ الطب والتدريب البدنى من حيث علاقتهما باستراتيجية الحرب^(١).

قد تكون هذه ملاحظات متناثرة هنا وهناك ، لا تعبر عن فكر منظم حول الموضوع ، لذا رأينا أن ندعمها بالخلل المنهجى انطلاقا من الأعمال المنطقية لأرسطو .

- ١٠ -

عندما يشار موضوع المنهج عند أرسطو لعل أول ما يستحضره الذهن هو الأورغانون الذى يحتوى على المؤلفات المنطقية .. وأهم هذه

(1) Aristotle, *Eudemian Ethics*, 1217 b 33. quoted in Guthrie, p. 20.

المؤلفات هما التحليلات الأولى والتحليلات الثانية اللتين تمثلان نضج الاسهام الأرسطى فى المنطق ، يدرس أرسطو فى العمل الأول صور الحجة حسب الاشكال والأحزبة فى سياق نظرية القياس ، أما فى العمل الثانى فيدرس شروط البرهنة . البرهنة تبقى دائما قياسية ، ولكنها لا تستغرق بذلك القياس الذى هو أوسع من البرهان . والبرهان هو القياس العلمى الذى يعتمد على معرفة الشئ بمعرفة سببه الحقيقى بصفته سبب هذا الشئ دون سواه ^(١) . ويعرف أرسطو البرهان كما يلى :

أعنى بالبرهان القياس المنتج للمعرفة العلمية ... وافترضنا ان أطروحتى المتعلقة بالمعرفة العلمية صحيحة ، فإن مقدمات المعرفة المبرهنة يجب أن تكون صادقة ، أولية. مباشرة ومعروفة معرفة سابقة عن النتيجة التى ترتبط بالمقدمات ارتباط الأثر بالسبب ^(٢) .

وما دام يشترط فى المقدمات أن تكون أولية (Primary) فهذا يعنى أنها غير مبرهنة ، لأنها تمثل المبادئ التى ينطلق منها الاستدلال العلمى ولذلك فالمعرفة العلمية أو البرهانية تختلف عن المعرفة الظنية ، ومن بين اشكال القياس المرتبطة بالمعرفة العلمية يعتبر أرسطو أن الشكل الأول اكثر الاشكال علمية ^(٣) .

وبتركيزه على القياس لا ينفى أرسطو دور الاستقراء ، ولا دور الحدس، ومع ذلك يبقى أنه يفضل القياس الذى هو أحد صور الاستنباط (deduction) . وبما أن القياس أسمى الطرق المؤدية إلى المعرفة الحققة فإنه من مهمة الفيلسوف ان يبحث فيه ، « يبدو واضحا اذن ان مهمة الفيلسوف الذى يتناول بالبحث كل

(1) Aristetle, *Posterior Analytics*, tr. G.R.G Mure in R. Mckeon, ed *Introduction to Aristotle* (N.Y: odern Lebrary. 1947) 2.71610.

(2) Ibid, 2, 71b 17-23.

(3) Ibid., 14, 79 a 16.

الجواهر طالما أنها تندرج بالطبيعة تحت علمه أن يدرس أيضا مبادئ القياس» (Gamma 3, 100 5 b 6-8) * لكن أرسطو لا يستمر في الحديث عن القياس هنا في الميتافيزيقا بل راح يتطرق إلى مبدأ عدم التناقض بصفته «أيقن المبادئ» .

عندما ننظر إلى الأعمال المنطقية نجدها لا تحتوى على اسهام أرسطو فقط ، بل تحتوى كذلك على شيء من الانطولوجيا ، وفلسفة اللغة (المقولات) ، وعلى فلسفة العلم (التحليلات الثانية) . من أهم المسائل التى تبحثها فلسفة العلم هى المسألة المنهجية ، ولعل تصنيف الأعمال المنطقية تحت اسم الاورغانون فى وقت متأخر كان أحد مبرراته هو المنهج ، ولذلك مصطلح الاورغانون يعنى «أداة العلم»^(١) وهناك من الباحثين من يعتبر أن أرسطو يقترح فعلا منهجا للبحث العلمى يتصف بطريق مزوج استقرائى - استنباطى^(٢) . ولكن ما يهمنا هنا هو اشكالية المطلب النسقى ، ولذلك نتساءل : هل التزم أرسطو بالمنهج الذى يقترحه فى بعض أعماله المنطقية؟

قد يكون هذا السؤال بلا معنى إذا سلمنا لبعض الدارسين أن ما يقدمه أرسطو فى التحليلات الثانية لا يتعلق بالمنهج بتاتا ، بل غرضه هو تقديم طريقة لتقديم المعرفة المكتسبة .

نظرية العلم البرهانى لم تكن أبدا لتوجه أو تصورت (Formalize) البحث

* لا يسمح فضاء هذا المقال بالاسترسال فى هذه النقطة ، فليست هذه غاية فى حد ذاتها . ذلك أن عرضها يقتضيه الدور الوظيفى الذى يستلزمه الخط العام لهذه الورقة ، ذلك الخط الذى لا يستدعى محاكمة الاسهام المنطقى لارسطو فقد بث فى ذلك أهل الاختصاص .

(1) W. and M. Kneale, *The Development of Logic* (Oxford: The London Press, 1968), p. 23.

(2) Yohn Losee, *A Historical Introduction to the philosophy of Science* (OXford: Oxford University Press. 1471). p. 6.

العلمى ، انها تتعلق ، بطريقة حاسمة ، بتعليم الوقائع التى تم تحصيلها ، فهى لا تصف كيف يعمل العلماء أو ما ينبغى عمله للحصول على المعرفة . إنها تقدم نموذجا صوريا للكيفية التى يقدم بها المعلمون المعرفة ويبلغونها^(١) .

يمكن أن يكون هذا رأى محقا طالما أن نقطة الانطلاق فى القياس البرهانى تكون قد عرفت ، كما هو الحال فى المقدمات ، ولكن هذا رأى شاذ ولا يعفينا من السؤال الاشكالى الذى طرحناه .

تقصى النصوص ينفى أن يكون المعلم الأول قد التزم بنظريته فى المنهج ، ويبدو أن هذا التعارض كان هيجل قد سبق اليه غيره حسبما يصرح به بعض الدارسين «يكون هيجل ، حسب علمنا ، أول من لاحظ ، على الأقل فيما يخص الميتافيزيقا ، التباين بين النظريات المنطقية والممارسة الحقيقية لارسطو»^(٢) ذلك ما يظهر فى الممارسة المنهجية فى الميتافيزيقا التى تحتل قضاء الفيلسوف الباحث عن الحقيقة ، والباحث هنا هو أرسطو . وما يهمنا هنا هو الطريقة المتبعة فى البحث التى لا يبدو أنها استنباطية ، كما تقترح ذلك التحليلات الثانية . وعوضا عن ذلك يقترح منهاجا آخر سيتبعه فى تناول مسألة ما ، وهو ما يصرح به فى مقالة Beta حيث يعرض فيها المسائل التى يجب على الفيلسوف تناولها :

يجب علينا ، بالنظر الى العلم الذى نرومه ، أن نطرح أولاً المعضلة (ap-oria) التى يجب مناقشتها ، وهذه تشتمل على الآراء الأخرى التى يقول بها بعضهم فيما يخص المبادئ الأولى ، وازضافة الى ذلك أية نقطة يمكن أن يكون قد أغفل عنها (B 1.995 a 24-27) .

(1) Y. Barnes, "Aristotle" Theory of Demonstration" quoted in Guthrie, p. 170.

(2) P. Aubenque, "Sur La notion aristotelienne d'aporie" in *Aristote et les Problemes de methode* (Louvain: Publication Univrsitaires 1961) p. 3n.1.

تصف الدراسات الاجنبية هذه المقاربة باستعمال الكلمة اليونانية Aporia ، التى يمكن ، حسب معناها أن تترجم بـ «معضلة» أو «صعوبة» ويتفق الدارسون على أنها تميز منهجية أرسطو وإن اختلفوا فى مدى اتساع نطاقها . فهذا «روص» Ross يحكم بأن أرسطو يتبع هذا الاجراء المنهجى فى كل مؤلفاته تقريبا ، ومن ثم فليس منهجه استنباطيا .

ان الاجراء المتبع فى الميتافيزيقا كلها لم يكن ابدا استنباطيا، بل يبقى دائما اشكاليا (Aporematic) .. ويمكن أن نلاحظ أن المنهج فى الاساس يبقى نفسه فى كل أعمال أرسطو تقريبا . والاستثناء الرئيسى هو التحليلات الأولى ، ذلك أن المنطق الصورى يمكن طبعا أن يعالج الى حد ما بطريقة مماثلة للعلوم الدقيقة ، أما فى باقى أعماله كلها تقريبا فإن المنهج هو المنهج الاشكالى الذى يعد صالحا بالفعل للفلسفة^(١) .

وبعضهم يحاول أن يجد المعنى الحرفى لـ aporia فهى بالانجليزية تعنى "no - way" أو بالفرنسية cul - de soc^(٢) . ويخصص أرسطو المقالة "Beta" لطرح كل المعضلات التى على الفيلسوف أن يواجهها، وعددها أربع عشرة . من هذه مثلا دراسة الاسباب : هل هذه تنتمى إلى علم واحد أو أكثر ، ثم هل هذا العلم يتناول «فقط الاسباب الأولى للجواهر أم كذلك المبادئ التى ينطلق منها كل الناس فى برهنة الاشياء ، من ذلك مثلا هل يمكن ان نقرر الشئ نفسه وننفية فى الوقت نفسه ، بالاضافة إلى مبادئ اخرى من هذا القبيل» (B 1, 995 b 5-10) .

انطلاقا من هذا التوجه الاشكالى يقترح أرسطو على الباحث أن يطرح المشكلة طرحا جيدا ومفهوما حتى يتضح له المنحى الذى ينحوه ، وهو فى هذا لا ينطلق من فراغ ، ذلك ان المشكلة المطروحة كثيرا ما تكون قد عولجت من قبله،

(1) W.D. Ross, *Aristotle's Metaphysics*, vol. 1 , p. 252.

(2) W.K.C. Guthrie, p. 92.

لذلك كان لزاما عليه استعراض آراء من سبقوه ، وهذه ممارسة تقليدية عند أرسطو . ففي المقالة الأولى Alpha يعرض الفلسفة بصفتها علما نظريا يهتم بالمبادئ والاسباب ، وفي هذا يستعرض آراء من سبقوه .

هذه الآراء السابقة قد تكون متعارضة لتشكل لذلك معضلة أمام الفيلسوف الذى سيبحث عن مخرج لها ، . وليس المخرج يكمن دائما فى تجاوز الآراء السابقة ، بل أحيانا يقنع الفيلسوف بأهل الخبرة ، كما يحدث ذلك فى المسائل العملية التى لا تخضع دائما للبرهنة ، وهذا ما يصرح به فى الاخلاق الى نيقوماخوس .

ينبغى أن نستأنس إذن بالأقوال غير المبرهنة وآراء أهل التجربة والكبار أو نوى الحكمة العلمية . وليس هذا أقل شأنًا من البرهنة ذلك أن التجربة منحت هؤلاء عينا يرون بها رؤية صحيحة . (VI, 11, 1143610 - 14)

قبل أن أنهى هذا الجانب أود أن أذكر الملاحظات النامية:

أولا : أن هذه المقاربة الاشكالية (Aporimatic) التى تقتضى استعراض آراء السابقين لا نجدها فى كل أعمال أرسطو ، ففي المنطق مثلا لا يلجأ الى آراء من سبقوه اقتناعا منه أنه مبحث لم يسبقه اليه احد ، «أما فيما يخص بحثنا الراهن (فى اشكال الحجة) فليس جزء منه قد أنجز من قبل . وجزء آخر منه ليس بعد ، بل إنه لم يوجد أبدا» ^(١) .

ثانيا : المنهجية التى يتبعها أرسطو فى الميتافيزيقا تؤدي إلى استنتاج هام، وهو أن الميتافيزيقا لا يمكن أن تؤسس لغيرها من العلوم لأنها «لا تستطيع ان تبرهن مبادئ العلوم الخاصة» التى تقتطع جزءا من الكينونة وتدرسه ذلك أن «كل علم يبدأ من مبادئ غير قابلة للبرهنة» ^(٢) .

(1) Aristotle, *Sophistical Reputations*, 183b 34 F, quoted in Lloyd, p. 2185.

(2) Ross, Vol. 1, p. 252.

ثالثا : ممارسة هذا الاجراء المنهجي الاشكالى يعنى أن أرسطو لا يملك حولا جاهزة ، وهذا يبين طبيعة النص الارسطى الذى تطور بالتقنيح والزيادة لأنه كان دائما موضوعا للمحاضرة والتدريس ، ومن شأن النص التعليمى أن يتغير طالما أنه يتغذى بمجريات التعايش أو العمل التعليمى عموما . لعل هذا ما جعل Ross يصف الميتافيزيقا مثلاً بأنها « لا تعبر عن نسق دجماتى عن مغامرات عقل فى بحثه عن الحقيقة »^(١).

- ١١ -

يعد هذا كله ما الذى افضت اليه هذه الورقة ؟ لقد نفت ان يكون عند أرسطو نسق بالمعنى المتداول لهذا المصطلح ، وذلك بالاستناد الى عوامل تاريخية ونصية ومنهجية ، ولو كان أرسطو هو الذى أشرف على نشر أعماله ، ولو لم يضع جزء هام من هذه النصوص ، لجاءنا النص مختلفا ، خاصة أنه معروف بروحه التنظيمية التى مكنته من تأسيس اللوقيون الذى شهد تنظيما للعمل العلمى .

وهذا المعطى ، وهو موضوعى من دون شك ، يجب ان يكون نقطة الانطلاق والدلائل الموجه للباحث . لقد كان كذلك بالنسبة اليها وإلى من سبقونا فى هذه المسألة ، لقد اقتنعنا باستحالة وجود نسق كما شرحنا ، ولكن لا يعنى هذا خلوها تماما من أية نسقيه أو من أفكار منتظمة . فمثلا أفكاره عن المادة بصفتها مبدأ التغير والتفرد (individuation) منسجمة من دون ان يجعله ذلك ماديا بالمعنى المتداول . وكذلك هو الشأن فى رأيه فى المعرفة البرهانية التى يشترط فيها الارتقاء الى الصورة القياسية. ويمكن أن تكون هناك أمثلة أخرى من هذا القبيل . وفوق هذا وذلك لا ينبغى أبدا أن يستدل بخلو النسقية على فساد فلسفة ما أو الانتقاص منها ، فهناك فلسفات ثارت على الروح النسقية ولكنها أكدت فائدتها وحضورها أكثر من الفلسفات التى اتخذت النسق صورة لها . بل إن فلسفة أرسطو دليل على ذلك ، إذ لم يستطع مخلوق أن يحتل بفلسفته المشهد

(1) Ross, "Introduction", vol. 1 p. Lxxvii.

الفكرى قرونا من الزمن ، حتى أن كلمة «فلسفة» فى مرحلة ما كانت تعنى فلسفة المعلم الأول .

ملحق

مختصر بمحتويات الميتافيزيقا

تتألف ميتافيزيقا أرسطو من ١٤ مقالة ، تعد المقالة الأولى «الفا» (Alpha) مدخلا حيث يستجلى فيه أرسطو علم المبادئ الأولى أو علل الاشياء من دون أن ينسى أن يتطرق باختصار الى تاريخ الموضوع ، يلى ذلك مقالة صغيرة تعرف و «الفا الصغرى» (Little alpha) ، تعد مقدمة ثانية، وهذه المقالة تثير اشكالا من حيث صحة انتسابها الى أرسطو . بعد هذا تأتى مقالة Beta التى تعرض سلسلة من المشاكل أو المعضلات تعرف بـ (aporia) . وعددها ١٤ فى المجموع ، غير أن أرسطو لا يقترح حلا لكل منها ، ومع ذلك تعد هذه المقالة حسب Ross ، برنامجا وليست مقالة منتهية . بعد ذلك تأتى مقالة (Gamma) حيث يוכל أرسطو للفلسفة دراسة الكينونة من حيث هى كذلك ، ولكنه بدل التوسع فى تحليل هذه المسألة يتجه أرسطو لمناقشة مبدأ عدم التناقض. أما مقالة Delta فتعرض قاموسا بمصطلحات فلسفية ، ثم تأتى مقالة Epsilon حيث يذكر ما هى العلوم النظرية (الفيزياء ، الرياضيات ، واللاهوت أو الفلسفة الأولى) ليركز على الكينونة كما يتطرق الى الصدق والكذب.

أما مقالات Zeta . Eta . Theta فتتمثل صلب الميتافيزيقا من حيث تمحورها حول الجوهر وعلاقته بالمادة والصورة ، والوجود بالقوة والوجود بالفعل وكذلك التغير والتكون . ليس من السهل تقرير ما هى اجابة أرسطو عن السؤال : ما هو الجوهر ؟ يرى بعضهم أنه يوحد بالماهية أو بالصورة . تأتى بعد ذلك مقالة Iota لتعالج مفاهيم الوحدة والهوية والكثرة والتضاد . أما مقالة Kappa فتتألف من تلخيصات عن Epsilon, Delta, Gamma وبعض الاجزاء من الفيزياء .

بعد هذا ننتقل الى مقالة Lambda التى تتناول أنواع الجواهر المنفصلة والمبادئ والاسباب المتعلقة بها ، كما تحتوى هذه المقالة اللاهوت الأرسطى ما دام أرسطو يتطرق الى المحرك الذى لا يتحرك . وفى الختام نجد مقالتى MU و NU حيث يعرض أرسطو أفكاره فى فلسفة الرياضيات والوضع الانطولوجى للأعداد . وفى هذا السياق يتطرق لوجهة نظر افلاطون ، الفيلسوف الحاضر فى كل مناقشات أرسطو الفلسفية تقريبا .